



لو يعلم الإنسان أنه ميت لا محالة، وأنه سيغدو جسداً لا روح فيه، ولا أنفاس تدخله، ولا حرارة تدفئه، وأن صورته المرفوعة ستسقط، وصوته المهيب سيختفت، ويده الطويلة ستكتف، وعصاه الغليظة ستتكسر، وأن بريق عينيه سينطفئ، ونضارة جسده ستذوي، وأن الدود سيسكن جسده، وسيأكل لحمه، وسينخر عظمه، وسيبلي جسمه، لو يعلم هذا الإنسان المتغطرس أنه مهما كان قوياً فسيضعف.

ومهما كان كبيراً فسيصغر، ومهما كان سليماً فسيصيبه السقم والألم، وسيسكنه الوجع والحزن. وأن غناه وثراءه لن يدوم، وأن جيوبه العامرة سيأتي يومٌ وتصبح فيه خاوية، لا شيء فيها مما يسلب العقول، ويضعف النفوس، ويشتري الضمائر، ويميت القلوب، وأن صحته لن تبقى، فلن يبقَ فاره الطويل، شديد القبضة، عنيف الضربة، سريع الخطوة، قوي البطasha، هياب الهيئة، بهي الطلعة، ساحر البسمة، ولا حلو الكلمة. وأن عزوه لن تطول، وعشيرته لن تبقى، صحبته ومن يلتف حوله عنه سيتخلون، وله سيتركون، واسمه قد ينسون، وعن شخصه قد يعرضون، وبتاريشه سيخلجون وسيستحون، وأنه إن كان مسنوداً فسيتخلى عنه سنته، وسينزع العباءة التي تستره وتظلله، والتي تحميه وتمنعه، وأنه لو كان محمياً فسيرفع يوماً الغطاء عنه، وسيخضع للقانون، وسيحاسبه الناس، وسيسأله المظلومون، وسيأخذ الحق منه المحرومون والمعذبون، ولن يسامحوه على صغيرٍ أو كبيرٍ قد ارتكبه ظلماً في حقهم.

وإن كان مقرباً فغداً ستبعده الأيام، وسيطويه الفادمون الجدد، والمقربون الأقرب، وأصحاب الحظوة الأكثر، فلو علم أن الظلم لا يدوم، والسطوة لا تبقى، والسلطة لا تخلد، وأن الصغير يكبر، والضعف يقوى، والمظلوم ينتصر، والحق يكبر وينتصب.

لو علم أن كل هذه البهارج والزخارف والزينة، والأبهة والعظمة والكبراء، كلها سراب ووهم، فلو كان عاقلاً فلن يقبل بظلمٍ

أو اعتداء، ولن يسكت عن بغيٍ أو فساد، ولن يرضي بفوضى أو اضطراب، ولن يكون نصيراً للظالمين، وحامياً للفاسدين، وسندًا للضالين المضللين، ولن يعطل القانون، ولن يغير اللوائح والنظم، ولن يبدلها خدمةً لمصالحه، أو نفعاً لمعارفه، أو نصرةً لمن يخدمه، أو ثمناً لمن عمل بوقاً له، ممسحةً لأخطائه، ومداساً لأقدامه.

بل سيكون أقرب إلى الحق، صادقاً مع ربه، ووفياً لشعبيه وأهله، وعادلاً بين رعيته، يحاسب القريب قبل الغريب، ويعيد الحق إلى البعيد قبل القريب، ويكون هو بوابة الحق وعنوان العدل.

اللهم إلا إذا كان وهو قائد المسيرة، ورائد العشيرة، رأس الفساد، وعنوان الخراب، وأس البلاء، وصانع الفوضى، ورافع لواء الظلم.

عندما تقول "لا حول ولا قوة إلا بالله، وإننا لله وإننا إليه راجعون".

لكن بقوّة لا بضعف، وبعزّم لا بخور، وبإرادّة لا بتسلیم، ننزلزله ومن معه، ونطرده ومن سانده، ونحاكمه ومن ناصره، ونعقابه من ساعده.

فلا صمت عن ظالم، ولا سكوت على بغي حاكم، ولا قبول بحرمان مسؤولٍ ولو ببر وفسر، أو حاول بلباس المقاومة أن يتذرّ، وبثوب الشهادة أن يتستر.

فهؤلاء الذين تغريهم القوة، وتبطّرهم النعمة، وتنسيهم الدعوة، لا علاج يشفّيهم، ولا دواء ينسّيهم، غير قوّة تcumهم، وسوطٍ يجلدهم، وقضبانٍ تحصرهم، وسجونٍ تحجزهم، أو موتٍ يغيبهم، يخلصنا منهم، ويريحنا من وجودهم، يكون لهم عقاباً ولغيرهم ولمن سيأتي من بعدهم درساً، لمن أراد أن يتعلم، وكان صاحب رأيٍ سديدٍ وعقلٍ رشيدٍ.

فلا استثناء لأحد، ولا تجاوز لمسؤولٍ، ولا تمييز في الحساب، أو مفاضلة في السؤال، إكراماً لمنصبٍ أو تقديرًا لشخص، أو تقديساً لقضية، أو حرصاً على غايةٍ أو هدفٍ.

والحاكم رئيسٌ وملك، وأميرٌ وشيخ، وقائدٌ وزعيم، ورئيسٌ حركةٍ وأمينٌ عامٌ حزبٍ، وهو إمامٌ ومرشدٌ، ورائدٌ وسفيرٌ، ومنتخبٌ ومعينٌ، وهو أبٌ وأخٌ كبيرٌ، ومقدمٌ ومختارٌ، ومنسقٌ وعريفٌ، ومكلفٌ ومؤمورٌ.

المصادر: